

قصة صالح

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِين

ثمود خلفاء عاد:

أورث الله هذه الأرض لقوم ثمود المؤمنين بعد أن أباد قوم عاد الكافرين، على أن يعمرُوا الأرض ويوحّدوه.

وكان قوم ثمود أول أمرهم مؤمنين موحدّين طائعين لله، فعمروا الأرض بعد أن أسكنهم الله أرضاً كلّها خيرات، مليئة بالماء الذي أفاض على أرضهم الخير. فكانوا يزرعون، ويأكلون من رزق الله، الذي أنبت لهم الجنّات، والبساتين، والشجر ليأكلوا من ثمرها.

وعملوا في البناء، حتى صارت لهم حضارة عظيمة. فكانوا يبنون القصور في السهول الخصبة. ولم يكتفوا بذلك؛ بل إنهم أنشأوا البيوت في الجبال، فكانوا ينحتون الصخر ويبيتون في تلك البيوت لمتانتها. ورغم هذا العمل الهائل مع قلة المعدّات المتاحة في تلك الأيام، فقد تغلّبوا على المصاعب، ونحتوها بعون الله ومشيبته.

وبدلاً من أن يشكروا الله على ما أعطاهم من النعم، عاثوا في الأرض الفساد، وعبدوا الأصنام، بعد أن صنعوها بأيديهم بوحى من إبليس لعنه الله.

وأراد الله الكريم أن يُمُنَّ على هؤلاء، لعلّهم يعودون إلى الصراط المستقيم وينبذون عبادة الأصنام. فأرسل إليهم رسولاً من أنفسهم

يخاطبهم بلسانهم لتكون المخاطبة أسهل عليهم. فربما يرجعون عن الفساد في الأرض ويعودون إلى التوحيد.

فابتدأ بتذكيرهم بنعم الله عليهم إذ جعلهم مستخلفين في الأرض من بعد عاد وذكرهم بهذه الحضارة التي من الله بها عليهم. ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يُوْتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74].

ومساكن ثمود عرفت بمدائن صالح نسبة إلى نبيهم، وتقع بين بلاد الحجاز وبلاد الشام.

وهناك سورة في القرآن الكريم تحمل اسم سورة «الحجر» وهي مساكن قبيلة ثمود. ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨١﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٢﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الحجر: 80-82].

صالح يدعو قومه:

نبي الله صالح يعود بنسبه إلى ثمود جد القبيلة التي سميت باسمه. وثمرود الجد يعود بنسبه إلى إرم بن سام بن نوح.

ونشأ صالح في قبيلته نشأة صالحة وهو من أوسط القبيلة نسباً وأفضلهم حسباً. وامتاز منذ نعومة أظفاره بالصدق، فنشأ على الفضيلة والإحسان. كما تميّز بالحلم والعلم والورع والتقوى وسائر الصفات الحميدة، وحباه المولى بالحكمة والإصابة بالرأي الصائب. فكان قومه حينما يحتاجون إلى رأي صائب في مسألة ما، يلجأون إليه ويأخذون برأيه.

ولما طغت قبيلته ثمود ونشروا الفساد في الأرض، وفشت فيهم عبادة الأصنام، أوحى الله إلى نبيه صالح أن يدعو قومه للعودة إلى صراط الله المستقيم وتوحيد الله، ونبذ عبادة الأصنام، وشكر الله على ما أنعم عليهم من خيرات، وما أمدهم به من قوة.

وابتدأ صالح بتنفيذ أمر ربه، ودعا قومه لِمَا أُمِرَ له. فأمن معه عدد قليل من قومه، وأكثرهم من الضعفاء والفقراء.

أما الأغنياء والزعماء وأصحاب المناصب، فقد كفروا بدعوة صالح خوفاً من أن يسود عليهم ويرأسهم.

ومن الطبيعي أن من يدلّهم على الخالق وتوحيده، عليه أن يكون القائد في قومه، يرشدهم ويهديهم إلى سواء السبيل. وخوفاً من تفلّت الزعامة والمناصب من أيديهم ظلموا أنفسهم ولم يستمعوا إلى دعوة نبيهم.

ولم يكتفوا بذلك؛ بل دعوا الناس العاديين إلى عدم السماع لدعوته خوفاً من أن يفقدوا جمهورهم.

وكانت تدور بين المؤمنين والكافرين حوارات حول دعوة صالح، وهل هو نبيّ مرسل من عند الله أم لا؟!

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَطَلَمُونَ أَتَكْتُمُونَ أَنَا صَالِحٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾

[الأعراف: 75-76].

بعد ذلك عمد الكافرون إلى أسلوب آخر مع صالح، فذهبوا إلى تذكيره بصفاته التي كانت ذا شأن عندهم قبل البدء بالدعوة و﴿قَالُوا يَصْنَعُهُ

فَدَ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا⁽¹⁾ قَبْلَ هَذَا أَتَنهَسًا أَنْ تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ⁽²⁾ ﴿[هود: 62].

فما كان جوابه إلا أن قال لهم: بأنه مأمور من الله بهذه الدعوة، ويخاف عصيانه بعد أن رأى البرهان على وحدانيته، وبعد أن تفكر في هذا الكون العجيب المحكم المتوازن الذي لا يقوى على خلقه إلا الله. وأن الباري سبحانه رحمه من عنده فكيف يعصيه، وأنه يخاف إن عصاه عذاب يوم عظيم - أي يوم القيامة - بعد أن رحمه وهداه وأمره بهداية قومه.

وكان يقول: إن لم تؤمنوا فإني أخاف عليكم من عذاب النار التي أعدت للكافرين. ومن الأجدر بكم أن تعودوا إلى عبادة الله الذي أنشأكم من الأرض، ومنحكم من القوى الجسدية والعقلية ما مكنكم من عمرانه.

ودعا قومه إلى استغفار الله مما لحق بهم من ذنوب، ودعاهم إلى التوبة، لأن الله قريب مجيب لمن دعاه. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ نُمُودَ أَخَاهُم صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61].

وقال لقومه: إنه لا يريد أجراً على دعوته شأن الأنبياء جميعاً وإنما يبتغي أجره من الله.

الناقة:

لما طال الحوار بين نبي الله صالح وقومه، طلب هؤلاء الحجة

(1) مرجوًّا: محترماً وذا مكانة عالية.

(2) مرِيب: الشك.

والبرهان على صدق دعواه ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ﴾⁽¹⁾ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ [الشعراء: 153-154].

ساعتئذٍ قال لهم بعدما أوحى الله إليه بأنه سيؤيده بمعجزة خارقة للعادة ، قال لقومه : إن ربي قريب مجيب الدعاء يستجيب دعوة الداع إذا دعاه عندما يأذن بذلك . وإنّما هذه الأصنام التي تدعونها وتعبّدونها لا تنفع ولا تضرّ، حتى إنّها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها أيّ سوءٍ إذا ما تعرّضت له ، فكيف تستجيب لكم .

ورغم ذلك قالوا له : إنّهم سيذهبون معه يوم عيدهم ويدعون أصنامهم ، فإن استجابت لهم لم يؤمنوا بما جاء به صالح ، وإن لم يستجيبوا لهم ، فإنّ صالح يدعو ربه بأن يؤيده بمعجزة ، فإن استجاب له ورأوا آية ربه وتأييده له في صدق دعواه آمنوا عن آخرهم .

وذهب الجميع ، إلى موضع الأصنام وبدأوا بالدعاء . ولكن هل تسمع الأحجار وهل تستجيب؟!

بالطبع لا ، وهنا كانت خيبتهم . وانتظروا ما يكون من أمر صالح ، بعد أن قال لهم بلهجة المؤمن ، الواصل بنصر ربّه له ، والمؤيّد من عند الرحمن : ماذا تريدون أن تكون آية ربكم؟

فقالوا له : إن كنت صادقاً فادع ربّك لأن تخرج من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة كبيرة كانت في ذلك الموضع - ناقة كبيرة تكون أكبر من سائر النوق⁽²⁾ وأن تكون حاملاً .

(1) المسخّرين : المرضى الذين فقدوا عقولهم .

(2) النوق : جمع ناقة ، وهي أنثى الجمل .

وما طلبهم هذا إلا ليضعوا نبيَّ الله في موقف حرج بزعمهم، لأن النوق عادة تتوالد من بعضها البعض وحجمها يكون طبعياً على ما اعتادوا. فكيف يأتي بناقة كبيرة الحجم، وتُخلَق من الصخر.

وقال لهم نبيُّهم: إنه سيأتي بما أرادوا بإذن الله ولكن هناك شروط لذلك، وهي:

- 1 - أن لا يتعرَّضوا لها في طعامها.
 - 2 - أن لا يتعرَّضوا لها في شربها، وذلك بأن يكون لها شرب يوم من البئر لا يقربوا الماء فيه، ولهم شرب يوم لا تقرب هي الماء فيه بوحى من الله لأنها مأمورة بذلك.
 - 3 - أن لا يمَسُّوها بسوء، فيأخذهم العذاب ويقضي عليهم ربُّهم.
- وما إن توجه صالح إلى الله بالدعاء، حتى كانت المعجزة الخارقة التي لا يقف في وجهها أحد إذا ما أرادها الخالق. وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.
- وطلب صالح من الله، أن تخرج من الصخرة الناقة التي يتخيَّلونها . وكانت المفاجأة التي أدهشتهم جميعاً. وهي أنه ما إن انتهى صالح من دعائه إلى الله، حتى راعهم ما سمعوا ورأوا. حيث بدأت الصخرة التي أشاروا إليها تتحرك لتخرج من داخلها ناقة كبيرة وضخمة جداً لم يروا مثلاً من قبل، وفي بطنها مولود كما طلبوا.
- فخرجت من الصخرة ووضعت وليدها. قال تعالى: ﴿وَيَقْوِمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّكُمْ﴾ [هود: 64].

كما قال تعالى: ﴿وَيَبِّتُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾
 [القمر: 28]. وقال تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ لِهَآ شِرْبٌ وَلَكَمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾
 [الشعراء: 155].

وآمن عدد كبير من القوم، وأخبروا الباقين عندما لقوهم، بخبر معجزة صالح. ولكن بعد ذلك، ارتدَّ عدد كبير منهم عن دين الله، وجحدوا بنعم الله عليهم.

ودخلت الناقة المعجزة في حياتهم. وبدأت ترد الماء، وتشرب من البئر، حتى أن ماءه كانت ترتفع إليها بإذن الله، فتشرب الماء كله ولم تبق فيه قطرة.

وفي اليوم التالي كانت الناقة تذهب ولا تأتي إلى موضع البئر. فيأتي الناس يشربون، ويخزنون الماء في بيوتهم ودورهم لليوم التالي، لأن الناقة ستأتي وتشرب جميع الماء.

ومن لطف الله بعباده، أنه في اليوم الذي تشرب فيه الناقة، وبعد أن ترتوي من ماء البئر كانت تقف في البلدة، ويأتيها الناس فيحلبونها. وكان جميع من في القرية يأتي إليها ويحلبها ويشرب من لبنها.

وكان المؤمنون بدعوة صالح قد سرُّوا بها لأنَّها من عند الله ومعجزة بيَّنة لنبيهم.

أما الكافرون فقد ضاقوا بمن آمن من قومهم وبالناقة ذرعاً، خاصَّةً عندما كانت تذهب لتأكل. فلضخامتها كانت مواشيهم حينما تراها تهرب وتخاف منها.

فضاق الكافرون ذرعاً بهذا الوضع وقرَّروا التخلص من الناقة. وكان

صالح قد أُنذر قومه إن مشوا بسوء، فسيلحقهم العذاب ويهلكهم الله.

ولكنهم لم يبالوا لقول صالح وقرروا التخلص منها. وجاء تسعة من الكافرين وكمنوا للناقة وعقروها، فأصبحوا نادمين.

أما فصيلها⁽¹⁾، فقيل: إنهم لحقوا به فقتلوه.

وفي رواية أخرى إنه هرب منهم ودخل الصخرة التي خرجت منها أمه. والله أعلم.

ولم يكتف قوم ثمود بذلك، بل كمنوا لقتل صالح أيضاً، وقال بعضهم لبعض: اقسوا أن نأتي صالح وأهل بيته المؤمنين ونقتلهم جميعاً، ثم نُنكر ذلك. ونقول: لا ندري من قتلهم، ولا نعلم من فعل ذلك.

وتأمروا على تنفيذ ما عقدوا النية عليه في مشروع القتل هذا. ولكن الله أهلكهم جميعاً، قبل أن يمسوا شعرة من نبيه.

انظر إلى قوله تعالى:

﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ سِتْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: 48-53].

(1) فصيلها: وليدها.

العذاب:

وعندما علم صالح بمكرهم وفعلهم قال لقوم ثمود الكافرين:
تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ثم يأتيكم عذاب الله. ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا
فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65].

وآية ذلك أنه في اليوم الأول: تكون وجوهكم مصفرة، وفي اليوم
الثاني: تكون وجوهكم حمرة، وفي اليوم الثالث: تكون وجوهكم
مسودة.

وتحقق كلام نبيهم ونظروا إلى بعضهم في اليوم الأول، فكانوا
يرون وجوههم جميعاً مصفرة. فأخذهم الخوف من صدق كلام صالح.
وانتظروا إلى اليوم الثاني فأصبحت وجوههم حمرة. فأصابهم الهلع
وعلا صياحهم ونحيبهم، وفي اليوم الثالث أيقنوا الهلاك الآتي من ربهم،
فأصبحوا ووجوههم مسودة. فتكفّنوا ونظروا إلى بعضهم بعضاً، ونظروا
إلى السماء حيناً وإلى الأرض أحياناً حتى جاءتهم صيحة جبريل فصعقوا
عن آخرهم. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ⁽¹⁾ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ⁽²⁾﴾ [الأعراف:
91]، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ⁽³⁾﴾ [الأعراف:
91]، ﴿يَقْنُؤُا فِيهَا آلَ إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ⁽⁴⁾﴾ [هود: 67-68].

فهلك الجميع إلا امرأة كافرة كانت مقعدة لا تمشي. ومن هول ما
رأت، أطلق الله رجلها بالحركة، فركضت مسرعة حتى وصلت إلى

(1) الرجفة : الزلزلة.

(2) جاثمين : ساقطين على وجوههم.

وادي القرى بين الحجاز والشام، فأخبرت من رأت بما حصل لقومها، ثم شربت شربة ماء وماتت.

أما صالح ومن آمن معه فقد أنجاهم الله بعد أن أهلك قومهم وذهبوا برفقة نبيهم يعبدون الله لا يشركون به شيئاً. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: 66].

وقيل: إن رسول الله ﷺ مر بالحجر⁽¹⁾ في غزوة تبوك بعدد من الصحابة، وأمرهم ألا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجننا واستقيننا، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهرقوا الماء، وأن يطرحوا ذلك العجين للداجن من المواشي. ونهى عن القرب من ذلك المكان، لأنه مكان نزل فيه العذاب على قوم كافرين.



العبر من قصة صالح:

يؤخذ من قصة صالح عدة عبر، منها:

1 - إن الحضارة التي لا يسندها الإيمان ويقوّيها تزول ولا يبقى لها أثر فعلي كحضارة ثمود.

2 - الداعي إلى الله يجب أن يتحلّى بالصدق والأمانة ولين الجانب والصبر على المكاره كما صبر صالح على قومه.

(1) الحجر: مساكن ثمود.

- 3 - يؤيد الله أنبياءه بمعجزات تدلُّ على صدقهم، وتفضح كذب مخالفينهم . ومن هذا ناقة صالح، وما كان فيها من آيات .
- 4 - الذين لم يلتفتوا إلى دعوة الأنبياء والرسل لهم الخزي في الدنيا والآخرة، كهلاك ثمود حينما لم يلتفتوا إلى نبيهم وعقروا الناقة، وتركوا الحضارة والنعم التي أمدهم الله تبارك وتعالى بها .
- 5 - عدم القرب من موطن نزل فيه العذاب على أمة من الأمم، كنهى رسول الله ﷺ عن إتيان المكان الذي نزل به العذاب لقوم ثمود عندما مرَّ بالصحابة بقرب ذلك الموضع .

